مظاهر التوحيد في الحج

لفضيلة الشيخ:

د. صالح بن سعد السحيمي

جمعية الهدى والحكمة
تأسست عام ١٤٤٤هـ | ترخيص رقم: ٥٢٠٩

مظاهر التوحيد في الحج[1]

لفضيلة الشيخ:

د.صالح بن سعد السحيمي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. إخوتي وأحبتي في الله فرصةٌ طيبة أن نلتقي في رحاب العلم وفي رحاب العقيدة في أول مسجدٍ أُسس على التقوى.

سمعتم هذا العنوان، وهو ضمن كلماتٍ مباركة بموجب خطةٍ من فرع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد لإفادة المسلمين وتوعية الحجاج، فنسأل الله تبارك وتعالى أن يُبارك في هذه الجهود.

إخوتي وأحبتي في الله سمعتم العنوان: [**مظاهر التوحيد في الحج**]

[1] أصلها كلمة ألقاها فضيلة الشيخ: د.صالح السحيمي -حفظه الله- يوم الثلاثاء ٢/ ١٢/ ١٤٤٤ في مسجد قباء.

كلكم تعلمون وتدركون أننا خُلقنا لحكمة عظيمة، ألا وهي عبادة الله سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا: ﴿وَما خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلّا لِيَعبُدونِ ۝ ما أُريدُ مِنهُم مِن رِزقٍ وَما أُريدُ أَن يُطعِمونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتينُ﴾[2]، إذا عرفنا هذه الحكمة، فإن كل عبادةٍ مشروعة مبنيةٍ على شروط صحة العبادة:

- إخلاص العمل لله وحده.
- وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ.

كل عبادة هي توحيد، فالشهادتان: أساس التوحيد، والصلاة توحيد، والزكاة توحيد، والصوم توحيد، والحج توحيد، وبر الوالدين توحيد، وفعل جميع الواجبات والسنن توحيد، وترك جميع المنكرات توحيد؛ لأن العبد المؤمن إنما امتثل ذلك؛ تنفيذًا لعبادة الله، ولتوحيد الله الذي أمره بتوحيده، وخلقه من أجله.

فعلى كل مسلم أن يستشعر هذا العمل، وهذه المسؤولية، وهذا الإدراك بأنه يوحِّد الله، عندما يصلي فإنه يصلي لله، عندما يزكي يزكي لله، عندما يفعل الأركان والواجبات يفعلها لوجه الله، عندما يترك المحرمات ويبتعد عن المكروهات هو يوحد الله سبحانه وتعالى، فتنبهوا لهذا.

[2] [الذاريات: ٥٦-٥٨]

من تلك العبادات العظيمة: الحج، لو أنك يا عبد الله تأملت مناسك الحج من أولها إلى آخرها بل وختامها لوجدت أنها كلها توحيد لله سبحانه وتعالى ومن هنا قال جابر -رضي الله عنه- في حديثه الطويل: «فأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد»[3] ويعني بهذا الإهلال: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»

تأمل يا رعاك الله هذه التلبية:

تُلبي: «**لبيك**» ياربي إجابةً بعد إجابة، تنفيذًا لنداء الله سبحانه وتعالى لخليله إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأتوكَ رِجالًا وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأتينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ﴾[4].

«**لبيك اللهم لبيك**»: أُجيبك إجابةً بعد إجابة.

«**لبيك لا شريك لك لبيك**»: هذا هو معنى لا إله إلا الله.

«**لا شريك لك**»: نفي لكل ما يعبد سوى الله سبحانه وتعالى.

ثم أكد بقوله: «**لبيك لا شريك لك لبيك**»: انظر مظاهر التوحيد هنا.

كان المشركون قبل مبعث رسول الله ﷺ يقولون: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك» فأثبتوا الأصنام وسائط عند الله، نعم هم أثبتوا أنها ملك لله لكنهم جعلوها شريكًا لله، ذبحوا لها،

---

[3] رواه مسلم، برقم: (١٢١٨)

[4] [الحج: ٢٧]

ونذروا لها، واستغاثوا بها، ودعوها وتوجهوا إليها، وقدموا لها النذور والقرابين.

ثم وحَّد الله بقوله: «**إن الحمد**» ال هنا للاستغراق، جميع المحامد والثناء يجب أن تكون لله عز وجل، لا نحصي ثناءً عليه.

ثم بين أن جميع أزمة الأمور بيده، وأنه مالك الملك «**إن الحمد والنعمة لك والملك**» قال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[5].

ثم «النعمة» إنما هي من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِن نِعمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[6] كل هذا توحيد.

ثم ختم بقوله: «**لا شريك لك**».

ثم تأمل يا رعاك الله هذا اللباس الذي يتوحد به المسلمون من الرجال كبيرًا وصغيرًا، حاكمًا ومحكومًا، غنيًا وفقيرا، يلبسون إزارًا ورداءً -لباس موحَّد- يُشعر بوحدة المسلمين، ويُشعر بتجردهم لله، يظهرون فاقتهم وفقرهم لله تبارك وتعالى.

---

[5] [الملك: ١]

[6] [النحل: ٥٣]

ثم انتقل معي يا رعاك الله إلى الطواف بالبيت:

هو توحيد لله، الطواف عبادة ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[7] وهو مظهر من مظاهر التوحيد.

لذلك لا يجوز الطواف بغير الكعبة، وإنما نطوف بالكعبة، امتثالًا لأمر الله وتنفيذًا لتوجيه رسوله ﷺ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[8].

والنبي ﷺ طاف لوجه الله تبارك وتعالى، ولذلك لا يجوز الطواف بغير الكعبة، فأي طواف بغير الكعبة هو بدعة، وإن ظن أن هذا الذي طاف به يجلب له خيرًا أو يدفع عنه شرًا كالذين يطوفون بأصحاب القبور يطوفون بالأضرحة والقبور ويقولون: مدد يا فلان، أغثنا يا فلان، أغثنا يا بدوي، يا نقشبندي، يا شاذلي، يا حسين، يا أبا بكر، يا عمر ، يا علي يا فلان يا فلان كل هذا شرك بالله تبارك وتعالى «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[9].

---

[7] [الحج: ٢٩]

[8] [الحج: ٢٩]

[9] رواه الترمذي (2516)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

انتقل إلى السعي يا عبدالله:

إذا صعدت الصفا ماذا تقول؟ كلمات كلها توحيد، تبدأ تكبر ثلاث مرات: «اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثلاث مرات ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»[10]

ثم تنتقل إلى المروة وتصعد عليها وتقول مثل ما قلت على الصفا.

ثم إذا فرغت إن كنت متمتعًا أو معتمرًا حلقت رأسك لوجه الله لا تبقِ على شعرةٍ واحدة.

انتقل معي يارعاك الله توجه إلى منى بعد أن تحرم بالحج إن كنت متمتعًا أو تضل على إحرامك بعد الطواف والسعي إن كنت مفردًا أو قارنًا، تصعد إلى منى، تكثر من التلبية والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن وكل هذا توحيد لله.

تتوجه إلى عرفة يقف المسلمون في صعيد واحد بلباس واحد على قلب رجل واحد، يعبدون ربًا واحدًا، ويتبعون نبيًا وحدا ﷺ.

[10] قال جابر -رضي الله عنه- :"فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: {إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ} [البقرة: 158] «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ..." رواه مسلم (1218).

ولذلك انظر إلى قول النبي ﷺ: (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[11].

يجتمع المسلمون على صعيد واحد، وهذا يذكرك يا عبدالله بالاجتماع الأكبر يوم القيامة، يوم يحشر الناس حفاة عراة غرلًا بُهما، فكذلك يوم عرفة أنت ليس عليك إلا ملابس معينة إزار ورداء، يذكرك هذا بيوم القيامة، عندما يُلجم الناس العرق، منهم من يلجمه إلى ساقيه، ومنهم من يأخذ إلى حقويه، ومنهم من يأخذه إلى ترقوتيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما، لا إله إلا الله تذكر هذا الموقف يا عبدالله.

تذكر الله بعرفة ملبيًا مكبرًا مهللًا إلى أن يتم غروب الشمس ولا تنصرف قبل الغروب، تنصرف إلى مزدلفة، قال الله تعالى: ﴿فَإِذا أَفَضتُم مِن عَرَفاتٍ فَاذكُرُوا اللَّهَ عِندَ المَشعَرِ الحَرامِ﴾[12]

ماذا تفعل في مزدلفة؟

تبيت بها إلى الفجر ثم بعد الفجر تتوجه إلى الله تدعو طويلًا تكبر وتهلل وتلبي مستحضرًا عظمة الله مستحضرًا أمره ﴿فَإِذا أَفَضتُم مِن عَرَفاتٍ فَاذكُرُوا اللَّهَ عِندَ المَشعَرِ الحَرامِ﴾[13]، قبيل طلوع الشمس تتوجه إلى منى مكبرًا ملبيًا مهللًا.

---

[11] رواه الترمذي (3585)، وصححه الألباني في المشكاة (2598)

[12] [البقرة: ١٩٨]

[13] [البقرة: ١٩٨]

ثم أول ما تصل الجمرة تُوقف التلبية لكن هناك التوحيد، عندما ترمي الجمرة جمرة العقبة ماذا تفعل مع كل رمية؟ تكبر الله، وهذا مظهر من مظاهر التوحيد الله أكبر الله أكبر تنحر هديك ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحَرْ﴾[14]، ﴿قُل إِنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحياي وَمَماتي لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ لا شَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المُسلِمينَ﴾[15].

تحلق رأسك لوجه الله تبارك وتعالى وهذا توحيد تذهب وتطوف بالبيت طواف الإفاضة وتسعى سعي الحج، فإن كنت قد سعيت وأنت مفرد وقارن يكفيك الطواف، وإن كنت لم تسعَ يكفيك الطواف لأنك سعيت بعد طواف القدوم وإن لا فإنك تسعى بعد الطواف.

تعود إلى منى تبيت ليلتين وجوبًا، أيام التشريق أيام أكل وشرب ، قال الرسول ﷺ (أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله)[16].

تكبر التكبير المطلق والمقيد:

- التكبير المطلق: من أول شهر ذي الحجة إلى ما بعد عصر آخر أيام التشريق.
- التكبير المقيد: من فجر يوم عرفة إلى آخر أو إلى عصر آخر أيام التشريق.

ترمي الجمرات الثلاث، وهي مظهر من مظاهر التوحيد معها التكبير والدعاء بعد الجمرة الأولى والثانية، وأيضًا تكبر مع كل حصاة متجنبًا الغلو والرمي بالحجارة

---

[14] [الكوثر: ٢]

[15] [الأنعام١٦٢_١٦٣]

[16] رواه النسائي (4168)، وصححه الألباني في المشكاة (2050)

الكبيرة، كما جاء عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال لي رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- غَدَاةَ العقبَةِ، وهو على راحتله: «هاتِ، الْقُط لي، فَلَقَطْتُ حَصياتٍ من حصى الْخَذْفِ، فلمَّا وَضَعْتُهنَّ في يده، قال: بأمثالِ هؤلاءِ، وإياكم والغُلُوَّ في الدِّين، فإنما هلكَ من كان قبلكم بالْغُلُوِّ في الدِّين»[17].

تعود إلى منى إن أردت تبيت الليلة الثالثة فهو أفضل؛ تأسيًا بالنبي ﷺ، ثم بعد ذلك بعد الجمرات الثلاث في اليوم الثاني إن كنت متعجلًا من أيام التشريق وفي اليوم الثالث إن كنت متأخرًا ثم تتوجه إلى البيت وتودعه بالطواف.

تأمل يا رعاك الله هذا المنسك العظيم تجده من أوله إلى آخره مظهر من مظاهر التوحيد، فعليك وأنت تنتقل من عبادة إلى عبادة، ومن مشعر إلى مشعر، ومن ذكر إلى ذكر، ومن أي مكان إلى مكان، تذكر أنك توحد الله سبحانه وتعالى تحقق الغرض الذي خلقك الله تبارك وتعالى من أجله، تأملوا ذلك يا رعاكم الله.

ثم أقول من باب شكر الله، نحمده على ما أولانا من نعمة، ويسر لنا هذا المنسك العظيم، ومن الشكر

أن تدعو لولي الأمر لخادم الحرمين الشرفين، وولي عهده الأمين، حيث قاما وقدما كل غالٍ ونفيس؛ من أجل راحة الحجاج، وهذا دأبهم في هذه البلاد بلد التوحيد، كما يقدمون كل غالٍ ونفيس من أجل مساعدة المسلمين في كل مكان.

[17] رواه النسائي (2427)، صححه الألباني في الصحيحة (1213)

فالخير لا يستغرب من معدنه فلا تنسوهم من صالح دعاؤكم، إن من شكرنا لله أن ندعو لهم، يقول النبي ﷺ: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)[18].

ثم أيضًا الشكر موصولٌ إلى وزارة الشؤون الإسلامية وعلى رأسها وزيرنا المحبوب معالي الشيخ الدكتور عبداللطيف بن عبدالعزيز آل الشيخ على ما يقوم به من جهود مباركة في الحج وفي غير الحج، وفي خدمة المساجد، وفي خدمة بيوت الله سبحانه وتعالى، وفي إعداد الدعاة المباركين الذين يبلغون تقريبًا ثمان مائة داعية، ينتشرون في المخيمات، وفي منى، وفي عرفات، وفي مسجد الخيف يُبصِّرون الناس ويعلمونهم دينهم.

ولا تنسى أيضًا هذا الفضل العظيم وهو وجود الهاتف المجاني الذي يتصل عليه من كل مكان موحَّد فيه عدد كبير من الدعاة يوجدون أربعة وعشرين ساعة يجيبون على أسألتكم، ثم تتحول إذا لم ترد أن تسمع بعض التوجيهات التي يحيلونك إليها بإمكانك أن تتصل أو تكلم أي داعية ليبين لك مناسك حجك وغيره من الأمور التي تحتاج إلى بيانها.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفقنا وإياكم وأن يبلغنا وإياكم هذا الحج المبارك وأن يجعله خالصًا لوجهه وأن يتقبل منا وإياكم وأن يعيد الحجاج إلى بلادهم سالمين غانمين مقبولين إنه جواد كريم وآخر دعوانا أن الحمدلله

[18] رواه أحمد (21838)، صححه الألباني في صحيح الجامع (7719)

رب العالمين وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

******